« وهم متحدّرون من اولئك الذين كانوا في الماضي يدفعون الخراج ، ويأكلون الكرباج » (ص: ١١٢) فلماذا يدعونا الى الحكم الذاتي ؟ لماذا ؟ لانه تقدم الينا وبيده الدواء الشافي ، ولسان حاله يقول : اقرأوا الريحانيات ، وتصفّحوا النكبات ، فتجدوا السبيل الى النجاة . وان لم تجدوا الضالة المنشودة فحدثوا انفسكم بالمعجزات تروها ، والخوارق تبصروها ، اذا حلّ الوهابيون البلاد ، وفي طليعتهم ابن سعود ، عمر الثاني ، سلطان البلاد ، ومن عن يمينه وزيره الاوحد ، الاستاذ الكبير ؟

لقد زلزلت الارض زلزالها ، وزحف جيش الجراد على ربوعنا بعدده وعديده ، واكلت الارياف ، وقلت محاصيلها . تلك كانت نكبات هذا العام ، ولم يخطر قط في بالنا ان الريحاني يزيدنا نكبة على النكبات

اميّة بن ابي الصَلْت

بقلم الاديب ميشيل سليم كيد

ذهب قوم يعرفون شعر امية ،
وكذلك اندراس الكلام .
(العجاج)

٢

ينظر امية الى الله كمكافئ فقط ، فلا يذكر في شعره سوى عفوه ورحمته واما عدله تعالى فلا يذكره ، قال ، وهو يجود بنفسه :

إن تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمًّا ؛ وايُّ عبدٍ لك لا ألمّا !

فهو يتوسل اليه تعالى ان يغفر له ذنوبه ، وها هو هنا يظهر لنا « ليس نبيًّا كمحمد بل كملّم ديني ، يؤمل مكافأة ربه فقط ، الذي لا يخدم هو سواه بقية ايامه ، قال :

ولسوف ينسى ما اقول معاشرٌ ولسوف يذكره الذي لا يزهدُ

فأخر لعبدٍ ان اول ذنبه شرب وابارٌ يشاركها دَدُ (١

وهنا ايضاً في هذين البيتين يطلب غفران ربه مع بركة خالقه عليه وعلى بنيه واملاكه :

واني لو سبحتُ باسمك ربّنا لاكثر إلا ما غفرت خطائيا
فربُّ العباد الق عليّاً ورحمة عليَّ، وبارك في بنيَّ ومالياً

وفي شعره الشيء الكثير من اخبار وحوادث ورد ذكرها في التوراة، يصفها احسن وصف ، قال يذكر قصة تضحية ابراهيم لابنه اسحق :

ولابراهيم المُوفّى بالنّذ ر احتساباً ، وحامل الاجزالِ
بكره لم يكن ليصبر عنه ، أو يراه في معشر اقتالِ
ابنيّ اني نذرتك قد م شحيطاً ، فاصبرْ ، فذى لك حالياً
واشدُد الصفد لا احيد عن م السكين حين الأسير ذي الاغلالِ
وله مُدْية تحايل في اللّحم م حُذامٌ ، حنيّةٌ كالهلالِ
بينا يخلعُ السرابيل عنه فكّه ربُّه بكبشٍ جُلالِ
فخذنْ ذا ، فارسل ابنك اني ، للذي قد فطنا ، غيرُ قالِ
والدٌ ينفي ، واخرُ مولو دٌ ، فطارا منه بسعٍ فعَالِ
وبها يجزعُ النفوسُ من الامر م له فرجةٌ كحلّ العقالِ

وقال يصف قصة لوط ، وخراب سدوم ، وما حلّ باهلها من العذاب جزاء اعمالهم :

ثم لوطٌ ، اخو سدُومٍ ، اتاها اذ اتاها برشدها وهُداها
راودُوهُ عن ضيفه ثمّ قالوا : « قد ضيناك ان تقيم قراها »
عرّض الشيخ عند ذاك بناتٍ كظباءٍ باجرعٍ ترعاها
غضب القومُ عند ذاك وقالوا : « ايها الشيخُ ! خطيئةٌ نأباها »
أجمع القوم امرهم ، وعجوز خيّب الله سعيها ورجاها .
ارسل الله عند ذاك عذاباً جعل الارض سُفلها اعلاها .
ورماها بحاصبٍ ، ثم طينٍ ذي حروفٍ مسوّمٍ ، إذ رماها .

---

١) Rev. E. Power : Ummayya ibn Abi-s-Salt (Mélanges de la Faculté Orientale) Tome I - P. 198

رأيه بالملائكة

يكثر امية من ذكر الملائكة . فيصف رتبهم ويميز بين طبقاتهم ، وهذا ينبئنا انهُ درس التوراة والانجيل درساً جيّدًا ، كما يجب على كل مسيحي حق، ولكنه يصورهم كالبشر ، لولا قدرة العلي لتعبوا من الوقوف وسئموا من كثرة التسبيح والتمجيد.

ملائكةٌ اقدامهم تحت عرشه ، بكفيهِ لولا الله كلّوا وابلدوا
قيامٌ على الاقدام عانين تحته فراشُهم من شدّة الخوف تُرعدُ

وان لهم اجنحة كأجنحة النعام تحملهم مسافاة شاسعة بسرعة الرياح:

نهضوا باجنحةٍ فلم يتواكلوا لا مبطىء منهم ولا مستوغدِ

ثم يذكر خدمتهم عنده تعالى « وانها على العموم رقّ اجباري ، وان بعضهم تمرّد عليه عزّ وجلّ ، فذللوا ، وهم يحرسون السموات ، التي كان امية ينظر اليها ويصفها كجدران عالية بنيت حول الحصن الذي يسكنه العلي ، وان حراسهم ما هي الّا النجوم الشواهب بها الاياليس ، وعند اشتباكهم في حرب مع الشياطين ، يظفرون اذا ما تضامنوا » (١)

يتابه المتصفون بسجرةٍ في الفِ الفٍ من ملائك تحشدُ
رسل يجوبون السماء بأمره لا يظرون ثواء من يتصدّدُ
فيهم كأوب الريح بنا ادبرت رجعت بوادي وجهها لا تُكرّدُ
حدٌّ مناكبهم على اكنافهم زفٌّ يزفُّ جم اذا ما استنجدوا
واذا تلاميذ الإله تعاونوا غلبوا ، ونشّطهم حياجٌ معتدُ

وذكر امية ايضاً الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى ، قال :

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيه وتسمعُ

وكما ذكر الملائكة الذين في خدمة الله كذلك ذكر الملائكة الذين عصوه ، فاذلهم والقاهم في جهنم النار جزاء عصيانهم ، قال يذكر جهنم والشياطين :

١) Rev. E. Power: Ummayya ibn Abi -s - Salt. M. F. O. t. I. p. 203

وفيها من عباد الله قومٌ ملائك ذُلّلوا وهمُ صابُ

ثم ذكر كيف ذللهم بتلك النجوم الشواهب التي القيت عليهم من السماء :

وترى شياطينًا تروغُ مُضامةً ورواغُها صبرٌ اذا ما يُطردُ
تُلقى عليها من السماء مذلّةٌ وكواكبٌ تُرمى بها فتمرّدُ

امية والنبي

ولما ظهر الاسلام كان اميّة من اكبر مقاوميه والدّ اعدائه، فمال الى قريش وانضمّ الى مخالفيه ، وقاوم محمّدًا ما امكنه زمنًا طويلًا ، وقيل انهُ اخذ بنتيه وهرب بهما الى اقصى اليمن ، ولبث هناك يترقب الفرص الى ان عاد الى الطائف فكان يحرض بني قريش على ان يقاوموا النبي ، وسافر الى الشام . ولما عاد الى الحجاز عقب وقعة بدر الشهيرة ، مر بالقليب فقيل لهُ ان فيه قتلى بدر ، ومنهم عتبة وشيبة ابنا خاله ربيعة ، فنزل عن راحلته وجدع اذنيها ، ثم قال قصيدته الشهيرة يرثي من قُتل ببدر ، ويحرّض قريشًا على اخذ الثار وغسل العار :

ألا بكيتَ على الكرا م بني الكرام، أولي المادحْ
كَبُكا الحمام على فُرُو ع الأيكِ في النصن الجوانحْ
يكين حرّى مستكينات م يَرحن مع الرّواسحْ
من يبكهم يبكِ على حزنٍ، ويصدُق كلُّ مادحْ
من ذا ببدرٍ فالمتَثْقَل م من سراتهِ جحاجحْ
فمدافع الرّكبين، فالـ ـعَيْنان، من طرف الاواشحْ
شطرٍ وشأنٍ جا م لبلٍ مناويرٍ دحادحْ

وهكذا الى آخر القصيدة وهي على هذا النمط ، ولهُ غير هذه شعر كثير. غير ان المسلمين سكتوا عن كل قصيدة فيها تعريض بالنبي وصحبه ، وهذا ابن هشام يقول : « تركنا منها (من هذه القصيدة) بيتين نال فيهما من اصحاب الرسول » وكم هناك من قصيدة طواها الغيب ، وكم من اقوال ادركها النسيان. فنستدل ان المعرّ قد تعمّد في اكثر شعره ، حتى فقد وعفت آثاره ، لانه قد

وقف من محمد موقف العداء وحرض عليه وأيد خصومه ، ورثى صرعى موقعة بدر وغيرهم من مخالفيه . ومما يزيدنا ثقة ، ان الحجاج قال: « ذهب قوم يعرفون شعر امية ، وكذلك اندراس الكلام » فضاع ما ضاع ، وبقي لنا بضعة ابيات شعر وان تكن غير كثيرة فهي تدلنا في اي مرتبة يمكننا ان نضع اميّة ، وما هي قيمة شعره ، وتفيدنا ايضاً في تفهم كثير من احوال الجاهلية ، عند ظهور الاسلام .

وظلّ امية مثابراً على خصومة النبي الى وفاته يحض قريشاً على الاخذ بالثأر ويقاومه كل ما دعت الحاجة ، ولما مرض مرضه الذي قضى به ، جعل يقول: « قد دنا اجلي ! وهذه المرضة منيتي وانا اعلم ان الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد » وعليه نراه لبث الى آخر نسمة من حياته ، وهو يشاكس نبي الاسلام ويناصبه العداء ! فكيف اذاً نرجو أن نحصل على كثير من شعره !

هذا ما بقي لنا من اخباره ، وشعره ، التي سلمت من الضياع ، وعبث الزمان ، وانما ابقي عليها لغاية من الغايات ، أو تناقله اعداء محمد .

وكان نبيّ المسلمين يميل لشعر اميّة دون شعر باقي اعدائه ، وكان يقول اذ يسمعه : « كاد اميّة يسلم » لان اميّة كان ، كما بيّنا ، يبتعد كثيراً من ذكر الاصنام ، فليس يُشتم من وراء شعره رائحة للشرك ، ولكن النبي مع ذلك نهى عن مذاكرة شعره ، الذي يتعرّض فيه الشاعر لهُ أو لدينه .

* * *

وحسبنا ان نعلم ، وفيما اوردناه الكفاية ، ان امية كان من افذاذ الشعراء في الجاهلية واوائل ظهور الاسلام، فهو وان اختلفت في تقديره الرواة وبكمت عنهُ الادباء ، فلا بد ان يتبوّأ يوماً ما مركزه بين شعراء زمانه .